ألفاظُ الطَّبيعَةِ فِي شِعْرِ ابْنِ مُجْبَرٍ المُوَحِّدِيِّ الأَنْدَلُسِيِّ (بُحْتُرِيّ الأَنْدَلُس)

م. د. أنوار مجيد سرحان
جامعة بغداد / كلية الآداب - قسم اللغة العربية
d.anwaralsodani@yahoo.com

تاريخ التقديم: ٣٦٠ في ٢٠١٧/١٢/٢٠
تاريخ القبول: ١٤٤ في ٢٠١٨/٣/٢٨

الملخص:

لقدْ وهبَ اللهُ الأندلسَ طبيعةً ساحرةً تعلَّقَتْ نفوسُ الأندلسيينَ بها أشدَّ تعلقٍ ، وأستأثرَتْ بحواسِّهم وأفئدتِهم، فظهرتْ ألفاظُ الطبيعةِ بمظاهرِها المختلفةِ بكثرةٍ في أغلبِ دواوينِ الشعراءِ الأندلسيينَ ، إنْ لم يكنْ جميعُهم ، منْ هنا جاءتْ الدراسةُ لتتناولَ ألفاظَ الطبيعةِ في شعرِ أحدِ شعرائِها ، وهو ابنُ مُجبرٍ الملقَّبُ ببحتريّ الأندلس ، وقد قسمتُ البحثَ على مقدمةٍ ومبحثينِ وخاتمةٍ ، عالجَ الأولُ ألفاظَ الطبيعةِ الصامتةِ (الجامدة) ، وعالجَ الثاني ألفاظَ الطبيعةِ الصائتةِ (الناطقة أو الحيّة) ، وختمتُ البحثَ بخاتمةٍ بأهمّ النتائج التي تمخضَ عنها .

الكلمات المفتاحية : ألفاظُ الطبيعةِ ، شعرُ ابن مجبر ، بحتريّ الأندلس ، الوصف .

The Vocabulary of nature in the poetry of Ibn Mujbar Al Muwahhidi Alandalusi
(Buhtori Al Andalus)

D. Anwar Majeed Sarhan
College of Arts – Baghdad University
Department Of Arabic Language
d.anwaralsodani@yahoo.com

Abstract:

The Andalusian poets were given a magical nature , in which the Andalusia souls were most concerned , and their senses and their interests were expressed. The expressions of nature appeared in their various manifestations in many or all of the Andalusian poets works .

I chose among these poets Ibn Mujbar , known as Bohtori Al Andalus , to be the subject of our research .It dealt with an introduction and two articles , the first one deals with The Vocabulary of silent nature , the second one deals with The Vocabulary of living nature , and I ends this research with conclusion of the most important results that emerged from the research .

Key Words:Nature , Poet of Ibn Mujbar , Bohtori Alandalus , Description.

المقدمة:

الحَمدُ للهِ الذِي أذهَبَ اللَّيلَ مُظلمًا بقُدرتِهِ ، وَجاءَ بالنَّهارِ مُبصِرًا برحمتِهِ ، وكساني ضِياءَهُ وَأنا في نِعمتِهِ ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على خاتمِ رُسلِهِ ، وعلى آلِهِ وَمَنْ وَالاهُ ، ومَنْ تبِعَهم بإحسَانٍ إلى يَومِ لقاهُ .

وبعد

فالأدبُ الأندلسيُّ زاخرٌ بعددٍ لا بأسَ بهِ منْ شعراءَ رَفدُوا المكتبةَ الأندلسيّةَ بقريحتِهِم الفياضةِ وأخيلتِهِم المُبتكرَةِ ، ومِنْ بينِ هؤلاءِ الشعراءِ الشاعرُ الأندلسيُّ (أبو بكرٍ يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن بن مجبر الفهريّ) [١] ، الملقَّب ببُحتريِّ الأندلس، (وهو اللقبُ نفسُهُ الذي حملَهُ شاعرُ ملوكِ الطوائفِ ابنُ زيدون (ت ٤٦٣ هـ) وقد كان الشاعرُ ابنُ مجبرٍ " فِي وقتِهِ شَاعِرَ الأندلسِ ، بل شَاعِر الْمغربِ غيرَ مدافعٍ وَلَا مُنَازعٍ ، وَكَانَ يمتدحُ الْأُمَرَاءَ والرؤساءَ وَرُبّمَا كتب لبَعْضهِم ، وَلم يكنْ أحدٌ يجْرِي مجْرَاهُ من فحولِ الشُّعَرَاء فِي وقتِهِ يعْتَرفُ لَهُ بذلكَ الأكابرُ من أهلِ الْأَدَبِ وَيشْهدُ لَهُ بِقُوَّة عارضتِهِ وسلاسةِ طبعِهِ قصائدُهُ الَّتِي سَارَتْ أَمْثَالًا وبعُدَتْ على قربِهَا منالًا ، وشعرُهُ مدوَّنٌ متداولٌ " [٢]، المولودُ(سنة ٥٣٥هـ)، والمتوفَّى (سنة ٥٨٨ هـ) [٣]. لنقفَ عندهُ ونسلِّطَ الضوءَ على إحدى الجزئياتِ التي تميَّزَ بها شعرُهُ ألَا وهيَ استعمالُهُ لألفاظِ الطبيعةِ ، ولاسيما أنَّ الأدبَ الأندلسيّ بما حواهُ مِنْ روعةٍ وجمالٍ جاءَ صورةً رائعةً لأدبٍ رفيعٍ يجمعُ بينَ الجزالةِ والمتانةِ المشرقيَّةِ ، وبينَ الرقَّةِ والصّفاء ، والعذوبةِ المستمَدَّةِ من طبيعةِ الأندلسِ الغنَّاء بمياهِها وأنهارِها وكثرةِ أشجارِها ، واختلافِ أزهارِها ونواويرِها شكلاً ورائحةً ، فضلاً عن طيبِ هوائِها ، وكثرةِ خيراتِها . لذا جاءَ هذا البحثُ لدراسةِ أَلفَاظِ الطَّبِيعَةِ فِي شِعْرِ ابْنِ مُجْبَرٍ المُوَحِّدِيِّ الأَنْدَلُسِيِّ (بُحْتُرِيّ الأَنْدَلُس)، وقد اقتضتِ الدراسةُ تقسيمَ البحثِ على مبحثينِ : جاءَ الأولُ لدراسةِ ألفاظِ الطبيعةِ الصامتةِ (الجامدة) ، والثاني لدراسةِ ألفاظِ الطبيعةِ الصائتةِ (الحيّة) ، معتمدةً في ذلكَ على التحليلِ لبيانِ تلكَ الألفاظِ ، معَ بيانِ أهمِّ الصورِ الشعريَّةِ التي وظَّفَها الشاعرُ منْ أجلِ إخراجِ شعرِهِ بأبهى حلَّةٍ ، وأجملِ تطريزٍ ، وختمتُ البحثَ بأهمِ النتائجِ التي توصلتُ إليها .

توطئة :

مما لا شكّ فيه أن للألفاظ أهمية كبيرة في نظر النقاد ، فهم يبينون الألفاظ التي ينبغي للشاعر أن يستعملها " وللشعراء ألفاظ معروفة ، وأمثلة مألوفة لا ينبغي للشاعر أن يعدوها ولا أن يستعمل غيرها " [٤] ، ولأهمية الألفاظ شبهها ابن رشيق القيرواني بالجسم في قوله : " اللفظ جسم ، وروحه المعنى ، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم يضعف

بضعفه ، ويقوى بقوته ..." [٥] . وتكمن أهمية اللفظ ، وجمالية اللغة في استعمال الشاعر لها استعمالًا فنيًّا " فالشعر استعمالٌ خاصٌ للغةِ " [٦] ، والأدب في أبسط تعريفاته " فنٌّ وسيلتُهُ اللغة " [٧] . وشيوع ألفاظ معينة في قصائد شاعر ما تظهر حالته النفسية التي تراكمت عليها شبكة لفظية ذات دلالة نفسية ، ومعنوية تعبر عن الحالة التي تهيمن على كيانه [٨] . فالألفاظ هي الوسيلة التي يعبر من خلالها الشاعر عما يجيش في نفسه . ومن بين الألفاظ التي شاع استعمالها لدى شعراء الأندلس قاطبة ، ومنهم الشاعر ابن مجبر ألفاظ الطبيعة ، وقد جاءت الطبيعة في اللغة لتحمل معنى " الخليقة والسجية التي جبل عليها الإنسان " [٩]. والطبيعة مصدر إلهام مهم لدى الشعراء ، فهي " ما خرج عن ذات الإنسان ووقع تحت متناول حواسه ، فأدرك أشكاله وألوانه وحركاته ببصره وروائحه بأنفه وأصواته بسمعه " [١٠] . وهذا يعني أن الطبيعة تشمل كل ما على سطح الأرض من ظواهر ، وعليه تقسم الطبيعة على قسمين : أولهما : الطبيعة الصائتة ، أي الناطقة والحيّة ، والآخر : الطبيعة الصامتة ، أي الجامدة . والطبيعة الصائتة تشمل جميع ما خلق الله من الحيوانات ذات الصوت عدا الإنسان ، أما الطبيعة الصامتة ، فهي كل ما على سطح الأرض من معالم جامدة من بحار وجبال وسهول ...إلخ ، وظواهر كونيّة من نجوم وشمس وقمر وغيرها .. [١١] ، ومنهم من يقسم الطبيعة الجامدة على قسمين : أولهما : طبيعة طبيعيّة ، وثانيهما : طبيعة صناعيّة ، وهي التي صنعها الإنسان كالقصور ، والبرك ، والنافورات ، والزخارف المرمرية ، والمقصورات ، وغيرها [١٢].

وفي ضوء دراستنا لشعر ابن مجبر ، وجدناه قد استعمل عددًا كبيرًا من ألفاظ الطبيعة بنوعيها ، ولعل هذا يعود إلى جمالها ، إذ كان لها أثرها في شعره – ولا سيما طبيعة الأندلس الساحرة التي أغرت الشعراء وحفزتهم " على النظم في وصفها : استئناسًا بها ، واسترسالًا في التنعم بظلالها ، والتغني بجمالها " [١٣]، فنجد الشاعر قد ربط هذه الطبيعة بشخصيات شعره من ممدوح ، وحبيبة ، ومهجو .

المبحث الأول : الطبيعة الصامتة (الجامدة) :

إن لألفاظ الطبيعة الصامتة حضورًا واضحًا في أبيات الشاعر ابن مجبر ، فكان حظها في ديوانه أوفر من ألفاظ الطبيعة الصائتة ، إذْ نجده استعمل الكثير من تلك الألفاظ التي ربطها بالأغراض الرئيسة في شعره ليرسم الصور الشعرية أجمل تصوير ، والشاعر في استعماله لهذه الألفاظ واختياره لها لكي تخدم غرضه ، فهو " لا يختار اللفظة لمجرد دلالتها المعجمية فحسب ، بل لما تحمله – فوق تلك الدلالة – من دلالات أخرى وما تنفرد به من إيحاءات ... فهي في إطار النظم لفظة خاصة ، ذات عطاء

معنوي خاص .." [١٤] ، ومن بين تلك الألفاظ لفظة (البحر) التي أثارت مشاعر ابن مجبر بما فيه من مظاهر المتعة والجمال والإثارة، من ذلك قوله في مدح المنصور : (من الكامل)

بَحْرٌ طَمَى وَالبَأْسُ مِنْ **أَمْوَاجِهِ** **صُبْحٌ** بَدَا وَالحَقُّ مِنْ أَضْوَائِهِ
عَمْدٌ أَقَامَ بِهِ المُهَيْمِنُ حَقَّهُ وَالحَقُّ عُمْدَةُ **أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ**
....
كَالعَارِضِ الثَّجَّاجِ مِلءُ **هَوَائِهِ** لَكِنْ دَمُ الأَبْطَالِ مِنْ **أَنْوَائِهِ** [١٥]

فنجد الشاعر قد استعمل ألفاظ الطبيعة لرسم صورة الممدوح مشبهًا إياه بالبحر في بأسه ، وبالصبح في إشراقه ، ويستمر في رسم صورة الممدوح ، فيشبهه بالمطر الشديد الانصباب في هجومه ومحاربته للعدو ، ولكن ماء هذا العارض ما هي إلا دماء الأبطال ، وقد جاءت ألفاظ الطبيعة في سياق متوازن عن طريق تكرار الصيغة التركيبية للألفاظ ، فجاء بقوله (بَحْرٌ طَمَى مساوية تركيبيًّا لقوله : صُبْحٌ بَدَا) ، وجاء بقوله (وَالبَأْسُ مِنْ أَمْوَاجِهِ مساوية تركيبيًّا لقوله : وَالحَقُّ مِنْ أَضْوَائِهِ) ، مما حقق نوعًا من الإيقاع المتناظر في النص ، وأعطى جرسًا موسيقيًّا جميلًا .

ونرى الشاعر يستعمل لفظة (البحر) في قوله من قصيدة عند استنقاذ النصارى المظفّر من الأسر : (من البسيط)

قالُوا : رِدُوا باقْتِحَام **البَحْرِ** عَنْ غُرَرٍ وَالمَوْتُ يُدْلِي بِأَنْيَابٍ وَأَظْفَارِ
فَقُلْتُ : هَيْهَاتِ مِقْدَارٌ جَرَى فَقَضَى بِمَا قَضَاهُ وَلَا رَدٌّ بِمِقْدَارِ
إِنَّ الحِمَامَ الذِي فِي **البَحْرِ** غَالَهُمُ قَدْ غَالَ عُثْمَانَ ذَا النُّورَيْنِ فِي الغَارِ
نِيرَانُ حَرْبٍ **بِمَوْجِ البَحْرِ** قَدْ طَفِئَتْ وَهْيَ المَوَائِدُ بَيْنَ **المَاءِ وَالنَّارِ**
كَانَتْ رَزَايَا أَثَارَتْ طِيبَ ذِكْرِهُمُ **كَالنَّارِ** تَلْفُحُ فِي الهِنْدِيِّ **وَالغَارِ** [١٦]

فالشاعر حقق حوارية عن طريق فعل القول (قالوا ، وقلت) التي أضفت مصداقية للحدث الشعري ، فضلًا عن توظيف التشبيه والاستعارات التشخيصية والتجسيمية في رسم صور الموت والبحر والحرب ، وتكراره للفظة (البحر) ثلاث مرات ، ولفظتي (مقدار والنار) مرتان ، وتكرار ألفاظ الموت المختلفة (رِدُوا (من الردى) ، والموت ، والحِمام) ، والجناس التام بين (الغار والغار) ، والجناس الناقص بين ((قضى وقضاه) ، و(غالهم وغال والغار) ، و(النورين ونيران) ، و(الحرب والبحر)) ، والطباق بين (نيران حربٍ وموج البحرِ ، والماء والنار) ، أسهمت هذه الفنون البلاغية جميعًا في تشكيل بنية تصويرية موسيقية داخلية ، يأنسها القلب ، وتستعذبها الأذن .

وممّا يرتبط بالطبيعة ومظاهرها في الأندلس الخمر ، فنجد الشعراء أكثروا من وصف الخمر في أشعارهم ، ولعل السبب في ذلك يعود إلى جمال طبيعة الأندلس ، إذ كان " للطبيعة بجمالها وبهجتها وبدائع رياضها وأزهارها وجداولها أثرٌ كبيرٌ في إقبالهم على الشرب واللهو مما أدى إلى التمازج والتلازم بين وصف الطبيعة والحديث عن العقار " [١٧] ، ولهذا نجد للشاعر مقطوعة شعرية قالها بديهة وارتجالًا ، يصف فيها رجلًا حسودًا جاحدًا لجميل صنعه معه ، فيلتقط صورته مما يجده أمامه من أشياء ، ومنها زجاجة الخمر السوداء فيقول فيها : (من الطويل)

سَأَشْكُو إِلَى النُّدْمَانِ خَمْرَ زُجَاجَةٍ تَرَدَّتْ بِثَوْبٍ حَالِكٍ أَسْحَمِ
نَصُبُّ بِهَا **شَمْسَ** المُدَامَةِ بَيْنَنَا **فَتَغْرُبُ** فِي جُنْحٍ مِنَ **اللَّيْلِ مُظْلِمِ**
وَتَجْحَدُ **أَنْوَارَ** الحُمَيَّا بِلَوْنِهَا كَقَلْبِ حَسُودٍ جَاحِدٍ يَدَ مُنْعِمِ [١٨]

وظّف الشاعر مظاهر الطبيعة ليرسم صورة ساخرة لهذا النديم الجاحد ، عبر ألفاظ (الخمر ، والشمس ، والليل ، وأنوار الحميا) ، فاستعار لزجاجة الخمرة فتاة قد ارتدت ثوبًا حالك السواد كالليل البهيم ، بل ذهب الشاعر بعيدًا حينما شبه سواد هذه الزجاجة بسواد قلب الشخص الجاحد ، وشبه الخمرة التي تصب منها بالشمس المنيرة إشارة إلى بريقها ، ولمعانها ، فجاءت الأبيات لتعبر عن قدرة الشاعر وموهبته البيانية في رسم صوره الفنية عن طريق الاستعارة والتشبيه والتضاد وغيرها من الفنون البلاغية .

وهكذا نجد أن الطبيعة بما أودع الله فيها من أسرار الجمال تبقى دائماً – وعلى مر العصور – مثارًا للغرام ، ومسرحًا للخيال ، ومنبعًا للمتعة ، ومصدرًا لراحة النفس وبث الطمأنينة لدى الشعراء [١٨]، لذا نجدهم لم يكتفوا بوصف مظاهر الطبيعة ، وإنما أخذوا يربطونها بأغراضهم الشعرية لرسم صورهم الفنية ، والتعبير عن أحاسيسهم ، ولتكون طريقة لتقريب الصورة للمتلقي ، فالشاعر إذا مدح شبه ممدوحه ببعض الظواهر الطبيعية ، وإذا تغزل شبه المحبوب بإحدى الظواهر الطبيعية ، وهذا ما وجدناه لدى الشاعر ، من ذلك قوله في الغزل : (من الطويل)

دَعَا الشَّوْقُ قَلْبِي وَالرَّكَائِبَ وَالرَّكْبَا فَلَبُّوا جَمِيعًا وَهْوَ أَوَّلُ مَنْ لَبَّى
وَظَلْنَا نَشَاوَى لِلَّذِي بِقُلُوبِنَا نَخَالُ الهَوَى كَأْسًا وَيَحْسَبُنَا شِرْبَا
إِذَا **القُضْبُ** هَزَّتْهَا **الرِّيَاحُ** تَذَكَّرُوا قُدُودَ الحِسَانِ البِيضِ فَاعْتَنَقُوا **القُضْبَا** [١٩]

فاستعار الشاعر للقلب والركائب والركب إنسانًا يلبي دعوة الشوق التي أرسلت إليه ، وفي البيت الأخير نجد لفظة (القُضْبُ) وهو الغصن ، وقد استعملها مكررة ، فضلًا عن

لفظة الرياح ، وقد ربط الشاعر شدة حبهم للمحبوب ، ورجفة اشتياقهم له بظاهرة طبيعية متمثلة باهتزاز الغصن ؛ نتيجة سرعة حركة الرياح التي ذكرتهم بقدود الحسان.

وفي نص آخر نراه يوظف ألفاظ الطبيعة المختلفة ، مثل : (الجدب ، والمرعى الخصيب، والنسيم ، والقضيب) ، فيقول : (من الوافر)

وَقَائِلَةٍ تَقُولُ وَقَدْ رَأَتْنِي أُقَاسِي **الجَدْبَ** فِي **المَرْعَى الخَصِيبِ**

أَمَا عَطَفَ الفَقِيهُ وَأَنْتَ تَشْكُو لَهُ شَكْوَى العَلِيلِ إِلَى الطَّبِيبِ ؟

وَقَدْ مَرَّ الثَّنَاءُ بِمِعْطَفَيْهِ كَمَا مَرَّ **النَّسِيمُ** عَلَى **القَضِيبِ** (٢٠)

وقد أحدث الطباق والتشبيه – الذي كانت الطبيعة مصدرًا مهمًّا في تشكيله – تأثيرًا معنويًّا ، وجمالًا فنيًّا في نسيج هذا النصِّ الشعريّ ، فضلًا عن الحواريّة التي أعطت حركة للمشهد الشعريّ .

ومن بين ألفاظ الطبيعة التي كان لها حضور في ديوان الشاعر لفظتي (الشهب) ، و(السراب) وظفهما في مدح المنصور في سياق التقديم والتأخير الذي أدى دورًا رائعًا في إثارة ذهن المتلقي للمفردة المُقدَّمَة ، قال : (من الكامل)

أَوْ جَاءَ مُسْتَرِقًا إِلَيْكُمْ مَارِدٌ إِلاَّ وَأَخْرَقَهُ هُنَاكَ **شِهَابُ** ؟

....

جَهِلُوا وَظَنُّوا أَنَّ عِلْمًا عِنْدَهُمْ وَلَرُبَّمَا خَدَعَ العُيُونَ **سَرَابُ** (٢١)

ونجد الشاعر في أبيات أخرى يستعمل لفظة (الشهب) مع ألفاظ أخرى للطبيعة في رسم صورة الممدوح في قوله : (من البسيط)

هَلْ زِيدَتِ **الشَّمْسُ لِلأَنْوَارِ أَنْوَارَا** أَمْ عَادَتِ **الشُّهْبُ** فِي **الأَفْلَاكِ أَقْمَارَا**؟

....

تَبُثُّ يُمْنَاهُ **زَهْرًا** فِي الطُّرُوسِ وَلَا نُكْرٌ عَلَى **السُّحْبِ** أَنْ يُنْبِتْنَ **أَزْهَارَا** (٢٢)

فقد شبه الممدوح بالشمس ، وبالشهب ، والأقمار في بهاء نوره ، وسطوة ظهوره ، موظِّفًا الاستفهام الذي خرج للتسوية في رسم صورته ، وجعل يمناه إن مرَّت على أرضٍ أنبتت فيها الأزهار ، دلالة على عطائه ونداه ، وقد لجأ إلى التشبيه الضمني ؛ لرسم صورته التشبيهية ، ويعقد موازنة بين حال الممدوح وحال السحاب الذي يجلب الخير والعطاء بإرواء الأرض ، ونماء الزهر وإنباته .

ونجده في بيت آخر يستعمل من ألفاظ الطبيعة لفظة (الشمس) ، ولفظة (قوس قزح) في رسم صورة غلام يسقي الخمر في قوله : (من مجزوء الرجز)

جَاءَ وَفِي يَسَارِهِ قَوْسٌ وَفِي الأُخْرَى قَدَحْ

كَأَنَّــهُ **شَمْسٌ** بَـدَتْ وَحَوْلَـهَا **قَــوْسُ قُــزَحْ** [٢٣]

وهنا تكمن قدرة الشاعر في مزجه لألفاظ الطبيعة وعناصرها بجمال المحبوب ، وهذا المزج بين الغزل والطبيعة صفة شائعة لدى شعراء الأندلس ، لذا نجد الشاعر استعمل أسلوب التشبيه حين شبه إشراقة وجه الغلام بإشراقة الشمس ، وحولها القوس قزح تلك الألوان الزاهية المشرقة الجاذبة للنظر ، ولا يفوتنا أن ننبه على التلاعب اللفظيّ الجميل بقوله (قوس قدح ، وقوس قزح) ، فـ " الفنّ الشعريّ – بوصفه فنًّا جماليًّا – يعتمد سحر الكلمة وإيقاعها العاطفي الجذاب ، لهذا ، فإنَّ الشاعر بإدراكه الحدسيّ الشعوريّ الجماليّ يبدو قادرًا على التلاعب بالكلمات على وفق إيقاع عاطفيّ مموسق ، يستثير المتعة والجاذبيّة الفنيّة لدى القارئ " [٢٤].

أما قوله : (من الوافر)

بِنَفْسِي الرَّايَـةُ البَيْضَـاءُ تَهْفُـو بِـأَنْفَـاسِي وَأَنْفَـاسِ **الرِّيَــاحِ**

تَــدُلُّ عَلَيْــهِ إِذْ يَخْفَى وَيَبْــدُو كَخَيْطِ **الفَجْرِ** دَلَّ عَلَى **الصَّبَاحِ** [٢٥]

ففي هذين البيتين نجده مزج ألفاظ الطبيعة الصامتة بغرض المديح حين مدح المنصور ، واصفا إياه بالفارس الذي تلوح رايات نصره بالجو متلاعبة بها الرياح ، ومشبهًا إياه بخيط الفجر الذي يدل على ظهور الصباح الذي يولد بعد ظلمة دامسة ، وهو بهذا أورد ثلاثة ألفاظ من ألفاظ الطبيعة ، وهي : (الرياح ، والفجر ، والصباح) وقد جاء التكرار لـ (نفسي ، وأنفاسي ، وأنفاس) لإضفاء موسيقى هامسة بتكراره للأصوات نفسها ولا سيما صوت السين المهموس ، فضلًا عن الطباق بين (يخفى ويبدو) ، والتشبيه الجميل لجدليّة الخفاء والتجلي في قوله (يخفى ويبدو، وخيط الفجر والصباح) أسهمت جميعها في ثراء النصّ ، وتوشيح المعنى .

ومن ألفاظ الطبيعة التي كان لها حضور في ديوان الشاعر لفظة (الليل) وما فيه من ظلمة ، وأقمار ، إذ كثيراً ما كان الليل والقمر أنيس السُّمَّار ، والنجوم رسل الشوق والسلام بين الأحبة ، يناجونهم ويبثون إليهم شكوى البعد والوحشة ، ولواعج الشوق ولوعة الفراق ، وكثيراً ما عني الشعراء بوصف الليل ، وقد طلع الهلال ولمعت النجوم بضيائها، مانحة الكون جمالًا ونورًا ، وربما أخذوا يعكسون مواقفهم أو همومهم وأرقهم فيما يرون من مناظر القمر والليل والنجوم ، أو يشبهونها بالأحبة مناجين ومناغين ، متغزلين وواصفين [٢٦]. وهذا ما وجدناه لدى الشاعر ، ومن ذلك قوله : (من الطويل)

دَعِ العَيْنَ تَجْنِي الحُبَّ مِنْ مَوْقِعِ النَّظَرْ وَتَغْرِسُ **وَرْدَ** الحُسْنِ فِي **رَوْضَـةِ** الخَفَـرْ

....

وَزَائِـــرَةٍ **وَاللَّيْـــــلُ** مُلْقٍ رُوَاقَـــهُ ومِنْ أَيْنَ **لِلْظَلْمـاءِ** أَنْ تَكْتُـمَ **القَمَـــرْ** ؟
حَدَرْتُ نِقابَ الصَّوْنِ عَنْ صَفْحِ خَـدِّهَا فَيَا حُسْنَ مَا انْشَقَّ **الكِمَـامُ** عَنِ **الزَّهَـــرْ**
وَرَاوَدْتُـــــهَا عَـنْ لَثْمَـــةٍ فَتَمَنَّـعَتْ وَمَا عَادَةُ **الأَغْصَانِ** أَنْ تَمْنَـــعَ **الثَّمَـــــرْ**

....

يُطَـــالِبُنِي قَلْبِي بِتَقْبِيلِ ثَغْـــرِهِ لَقَدْ غَاصَ فِي **بَحْرِ** الجَمَالِ عَلَى **الـــدُّرَرْ**[٢٧]

فلـو نظرنـا إلـى قصـيدته الغزليّـة هـذه ، نجـده قـد مـزج بـين جمـال الطبيعـة وسـكونها ، ومعـاني الشـوق والحنـين والصـبر علـى فـراق الحبيبـة ؛ ليرسـم لنـا صـورة صـادقة معبـرة عـن مشـاعره اتجـاه المحبوبـة ، ونجـده اسـتعمل مـن ألفـاظ الطبيعـة فـي هـذه الأبيـات (ورد ، وروضـة ، والليـل ، والقمـر ، والزهـر ، والأغصـان ، والثمـر ، والبحـر ، والـدرر) ، فجعـل مـن مظـاهر الطبيعـة هـذه موصـوفات لحبيبتـه ، وقـد جـاء الشـاعر بهـذه الألفـاظ ؛ ليؤكـد جمـال المحبوبـة التـي قرنـت بجمـال الطبيعـة ، وهكـذا نجـد الشـاعر قـد أكثـر مـن اسـتعمال ألفـاظ الطبيعـة فـي الـنصّ ، وممّـا لاشـك فيـه أن لإلحـاح الشـاعر علـى لفظـة أو عبـارة فـي الـنصّ يشـد الانتبـاه إلـى أهميـة هـذا الإلحـاح فـي نفسـه ، وتكـرار ألفـاظ مخصوصـة إضـاءة للنصّ ، وهي في الوقت نفسه تكشف عن الملامح الرئيسة للتجربة الشعرية [٢٨] .

ونجـد الشـاعر فـي قصـيدة أخـرى مـدح المنصـور والفخـر بقصـيدته وشـاعريته ، قـال فيهـا: (من الطويل)

قَلَائِـدُ فَتْحٍ كَانَ يَذْخَرُهَا الدَّهْرُ فَلَمَّا أَرَدْتَ الغَـزْوَ أَبْرَزُهَا النَّصْـــرُ
فَهَـا هِيَ مُذْ جَدَّتْ رِكَابُكَ تَتْبَرِي سِرَاعاً فَمِنْ أفراحِها الشَّفْعُ والوَتْـــرُ
فَدُونَكَهَا مَنْسُـوقَـــةً فَلَشَـــدَّ مَا تَسَابَقَ فِيهَا نَحْوَكَ **البَـرُّ وَالبَحْـــرُ**
هُوَ الفَتْحُ يَا مَوْلَايَ مَا فِيهِ مِرْيَةٌ وَلَا **لِلَّيَـــالِي** فِي تَعَـــذُّرِهِ عُـــذْرُ
أَفِي **الصُّبْحِ** شَـكٌّ أَنَّـــهُ لَمُصَبِّحٌ وَقَدْ غَاضَتِ **الظَّلْمَاءُ** وَانْفَجَرَ **الفَجْرُ**

....

إِلَى غَزَوَاتٍ مِنْ قَرِيـــبٍ تَتَابَعَتْ فَفِي كُلِّ قُطْرٍ مِنْ **سَحَائِبِهَا قَطْـــرُ** [٢٩]

لقـد أبـدع الشـاعر فـي مـدح ممدوحـه ورسـمه صـورة صـادقة لـه واضـحة للمتلقـي ، مسـتعملاً فيهـا ألفاظًـا اتسـمت بالسـهولة والوضـوح ، ومنهـا ألفـاظ الطبيعـة التـي وظفهـا بأسـاليب وفنـون بديعيـة رائعـة حـين طـابق وجـانس بـين الألفـاظ فـي قولـه : (الظلمـاء والفجـر، والبـر والبحـر) ، وقولـه (الصُّـبْحِ ولَمُصَـبِّحٌ ، وانفجَـرَ الفَجْـرُ ، وقُطْـرٌ وقَطْـرٌ) ، ممـا زاد مـن مسـاحة التنغـيم الصـوتي ، وهكـذا نجـد الشـاعر قـد مـال إلـى اسـتعمال الألفـاظ السـهلة السلسـة

المأنوسة في رسم الصورة الشعرية ، لتغدو هذه الألفاظ ذات تأثير خاص يضفي إلى سهولة معناها " إحساساً باللذة والمتعة تصاحبان الأجواء الصوتية والإيقاعية " (٣٠).

والطبيعة الأندلسيّة تنعم " بجمال ثر وروعة آسرة ، وتصطبغ بظلال وارفة وألوان ساحرة ، تتنفس بجو عبق عطر يضاعف من روعته وبهائه ما يتخلل جنباتها من مواطن السحر ومظاهر الفتنة التي تبعث الانبهار والدهشة في النفوس " (٣١) ، ومن توظيف الشاعر لألفاظ الطبيعة الجامدة (حصاة ، وثبير) قوله : (من الوافر)

سَأَسْتَجْدِي صَغِيرًا مِنْ كَبِيرِ وَأَرْغَبُ فِي **حَصَاةٍ** مِنْ **ثَبِيرِ**

وَأَقْنَعُ بِالقَلِيلِ النَّزْرِ مِمَّنْ يَجُودُ وَلَيْسَ يَقْنَعُ بِالكَثِيرِ (٣٢)

إذ يتحدث الشاعر عن نفسه عبر التضاد بين (صغير وكبير ، وحصاة وثبير ، وبالقليل النزر والكثير) فهو زاهد وقانع بالنزر اليسير ، بل إنه يقنع بحصاة واحدة من جبل عظيم كجبل ثبير .

وفي وصفه للطبيعة الصناعية ، قال في وصف مقصورة أحدثها المنصور بجامعه المتصلة بقصره في حضرة مراكش ، وكانت قد وضعت على حركات هندسية ترفع بها لخروجه وتخفض لدخوله : (من الكامل)

طَوْرًا تَكُونُ بِمَا حَوَتْهُ مُحِيطَةً فَكَأَنَّهَا سُورٌ مِنَ الأَسْوَارِ

وَتَكُونُ طَوْرًا عَنْهُمُ مَخْبُوءَةً فَكَأَنَّهَا سِرٌّ مِنَ الأَسْرَارِ

وَكَأَنَّهَا عَلِمَتْ مَقَادِيرَ الهَوَى فَتَصَرَّفَتْ لَهُمُ عَلَى مِقْدَارِ

فَإِذَا أَحَسَّتْ بِالإِمَامِ يَزُورُهَا فِي قَوْمِهِ سَارَتْ إِلَى الزُّوَّارِ

يَبْدُو فَتَبْدُو ثُمَّ تَخْفَى بَعْدَهُ كَتَكَوِّنِ **الهَالَاتِ لِلأَقْمَارِ** (٣٣)

فهذه المقصورة لها قدرة الإنسان بالإحساس بغيره ، فهي تشعر بالممدوح حينما يزورها، إذ سرعان ما تقوم له إجلالًا وتقديرًا ، حتى أنها تظهر وتختفي بظهور الممدوح وخفائه ، فصَوَّرَ هذا عبر ثنائية الخفاء والتجلي التي تبدو من الممدوح والمقصورة معًا ، كما تبدو الهالة المحيطة بالقمر ، فالشاعر عن طريق الاستعارة التشخيصية والتشبيه المؤكّد بالأداة رسم لنا صورة شعرية رائعة .

المبحث الثاني : الطبيعة الصائتة (الناطقة أو الحية) :

لقد اختلف شعراء الأندلس في نظرتهم إلى الحيوان فلم يعد ذا تأثير كبير في حياتهم، كما وجد في العصور الأدبية السابقة ؛ والسبب في ذلك يعود إلى تطور الحياة في الأندلس ، فكانت الحاضرة بمعالمها كافة ، وظروفها تختلف عن الصحراء ، فلم يكن الإنسان في تعايش مستمر مع الحيوان . فقد كان الشعراء ينظرون إلى الحيوان نظرة

جمالية متصلة بسحر الطبيعة ، وهذا ما وجدناه لدى الشاعر ابن مجبر ، فقد قرن جمال المحبوبة بجمال الطبيعة حين شبه المرأة بالظبي وعيونها بالمها ، وقرن الطبيعة الحية المتمثلة ببعض الحيوانات المفترسة بشخصيات قصائده حين شبه ممدوحه في قوته وبسالته بالضرغامة العادي والأسد الهصور، والسبع الضاري ، وهذا ما سنجده في تحليل أبياته الشعرية التي حوت ألفاظ الطبيعة الحية ، ومنها قصيدته التي يصف فيها الخيل العتاق ويمدح الخليفة المنصور* في فتحه لإحدى بلاد الروم قائلا : (من الطويل)

لَهُ حَلْبَةُ **الخَيْلِ العِتَاقِ** كَأَنَّهَا ... نَشَاوَى تَهَادَتْ تَطْلِبُ العَزْفَ والقَصْفَا
عَرَائِسُ أَغْنَتْهَا الحُجُولُ عَنِ الحِلَى ... فَلَمْ تَبْغِ خِلْخَالًا وَلَا الْتَمَسَتْ وَقْفَا
فَمِنْ **يَقَقٍ** كَالطِّرْسِ تَحْسَبُ أَنَّهُ ... وَإِنْ جَرَّدُوهُ فِي مُلَاءَتِهِ التَفَّا
وَأَبْلَقَ أَعْطَى اللَّيْلَ نِصْفَ إِهَابِهِ ... وَغَارَ عَلَيْهِ الصُّبْحُ فَاحْتَبَسَ النَّصْفَا
وَوَرْدٍ تَغَشَّى جِلْدَهُ شَفَقُ الدُّجَى ... فَإِذْ حَازَهُ دَلَّى لَهُ الذَّيْلَ والعُرْفَا
وَأَشْقَرَ مَجَّ الرَّاحَ صِرْفًا أَدِيمُهُ ... **وَأَصْفَرَ** لَمْ يُمْسَحْ بِهَا جِلْدَهُ صِرْفَا
وَأَشْهَبَ فِضِّيَّ الأَدِيمِ مُدَنَّرٍ ... عَلَيْهِ خُطُوطٌ غَيْرُ مَفْهُومَةٍ حَرْفَا
....
تَهُبُّ عَلَى الأَعْدَاءِ مِنْهَا عَوَاصِفٌ ... سَتَنْسِفُ أَرْضَ المُشْرِكِينَ بِهَا نَسْفَا
تَرَى كُلَّ **طِرْفٍ كَالغَزَالِ** فَتَمْتَرِي ... **أَظَبْيًا** تَرَى تَحْتَ العَجَاجَةِ أَمْ **طِرْفَا**
وَقَدْ كَانَ فِي البَيْدَاءِ يَأْلَفُ سِرْبَهُ ... فَرَبَّتْهُ **مُهْرًا** وَهْيَ تَحْسَبُهُ **خِشْفَا**
تَنَاوَلَهُ لَفْظُ **الجَوَادِ** لِأَنَّهُ ... إِذَا مَا أَرَدْتَ الجَرْيَ أَعْطَى لَهُ ضِعْفَا (٣٤)

استمد الشاعر صوره من الطبيعة الحيّة ، وجنح إلى الخيول بأنواعها ، وألوانها ، وهي في حلبتها ، " وربما تجاوز ... الصفات الفردية إلى صفات عامة مشتركة يضفيها على الخيل بصورة عامة دون الاقتصار على فرس أو جواد بعينه ولعله بذلك يريد أن يتخطى الصورة التي تربط الفرس بالفارس أو الجواد ، ويأتي بالصورة الشعرية التي تتحدث عن عدد من الجياد المتصفة بصفات عديدة كل منها تمثل صفة بارزة أو مجموعة من الصفات " (٣٥) ، وقد شبهها بالعرائس التي لم تطلب الحلي والخلاخيل بسبب حجولها ، وهذه الخيول تتهادى منتشية في سوح المعركة تطلب القتال ، وهي في عدوها تثير الغبار حولها ، والرائي لها لا يعلم هل هي خيول تعدو مسرعة أو ظباء تفر وسط العجاج . وهكذا نجد الشاعر مزج بين ألفاظ الطبيعة في مدحه للمنصور ، فجاء بعدد منها ، وهي : (اليقق ، والأبلق ، والورد ، والأشقر ، والأشهب ، والليل ، والصبح، وشفق الدَّجى ، وعواصف ، والغزال ، والظبي، والعجاجة ، وطرف ، والبيداء، ومُهر ، وخشف

، والجواد) ، وقد جاء الشاعر بها مجتمعة لرسم صورة واضحة للممدوح وهو يخوض معارك الفتح لإحدى بلاد الروم ، فهذه الصور جعلت المتلقي يقف في قبال لوحة كشفت عن معالم هذه الخيول ، بنص جمع فيه صورًا بصرية وحركيّة ولونية ، و" هذه الأوصاف توحي للمتأمل فيها بتصور الشاعر أنه أزاء مجموعة من الجياد ، يمتاز كل منها بلون خاص وسمات معينة في مظهره ، وهو يصفها واحدًا واحدًا "[٣٦] .

ونجد الشاعر يختار من ألفاظ الخيل لفظة (الطِّرْف) في قوله في إبراهيم بن مردنيش** ، عندما جمح به ، وقد ذكر هذه المقطوعة صاحب كتاب (تحفة القادم) حين ترجم لابن صاحب الصلاة بقوله : " وللشعراء في هذا أبيات نادرة ، وهو من تحسين القبيح ، منها قول أبي بكر بن مُجْبَرٍ : " [٣٧] (من البسيط)

لَا ذَنْبَ **لِلطَّرْفِ** إنْ زَلَّتْ قَوَائِمُهُ وَهَضْبَةُ الحُلْمِ إبْرَاهِيمُ يُزْجِيهَا

وَكَيْفَ يَحْمِلُهُ **طِرْفٌ** وَخَرْدَلَةٌ مِنْ حِلْمِهِ تَزِنُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا [٣٨]

فالشاعر اختار لفظة (الطِّرْف) وهو الكريم من الخيل ، وصَوَّرَهُ وقد زلت قوائمه ، ويلتمس لنا علة طريفة لكي تكون متناسبة ومقام الممدوح ، فيعلل زلة الفرس وكبوته بعدم تحمل حُلُمِ الممدوح الذي شبهه بالهضبة ، بل إن الممدوح يملك من الحلم ما يزن الدنيا وما فيها .

وفي مقطوعة أخرى يكرر المعنى نفسه حين زل الجواد فيقول : (من الطويل)

أَلَا اصْفَحْ عَنِ **الطِّرْفِ** الذِي زَلَّ إِذْ جَرَى أَيَثْبُتُ **طِرْفٌ** فَوْقَهُ النَّاسُ وَالدَّهْرُ

تَدَاخَلَهُ كِبْرٌ لَئِنْ كُنْتَ فَوْقَهُ فَتِلْكَ لَعَمْرِي زَلَّةٌ جَرَّهَا الكِبْرُ

ثَبَتَّ عَلَيْهِ حِينَ زَلَّ رَجَاحَةً أَيَخْرُجُ عَنْ أَثْنَاءِ هَالَتِهِ **البَدْرُ**

وَلَمْ يَدْرِ هَلْ أَمْسَكْتَهُ أَوْ رَكَضْتَهُ وَلِلْعُجْبِ سُكْرٌ لَيْسَ يَعْدِلُهُ سُكْرُ [٣٩]

فالشاعر يلتمس العذر للجواد لزلته ، فيقوم من باب تحسين القبيح وإيجاد حسن تعليلٍ لكبوة الفرس الذي لم يستطع تحمل هيبة الممدوح الذي يمثل الدهر والناس معًا ، وقد أشرك مظاهر الطبيعة في رسم صوره البصرية والحركية ، ومنها صورة البدر الذي لا يمكن أن يخرج عن هالته التي جاءت في سياق التشبيه الضمني الذي أثرى النص وأكَّد المعنى ، فالممدوح لم يسقط من الفرس بسبب كبوته ، بل بقي ثابتًا في مكانه ، كثبات البدر في هالته .

ونجد الشاعر في أبيات أخرى يختار من ألفاظ الطبيعة الحيّة ما يرسم به صورة جمالية للمحبوب في قوله : (من الكامل)

ظَبْيٌ غَرِيرُ الحُسْنِ طُرِّزَ خَدَّهُ بِالجُلَّنَارِ وَغَضَّ نَوْرَ السَّوسَنِ

رِيمٌ حَوَى ظُرْفًا وَحُسْنًا جَامِعًا نَطَقَتْ بِمَا يَحْوِي جَمِيعُ الأَلْسُنِ (٤٠)

فاختار الشاعر (الظبي ، والريم) ليصف لنا جمال محبوبه ، ولم يكتفِ بذلك حسب، بل جمع بين ألفاظ الطبيعة الحية والصامتة حين وصف المحبوب بالظبي الغرير ، وخده باحمرار زهور الجُلَّنَار الأحمر ، ونضارة زهور السوسن الأصفر ، وقد أبدع الشاعر في توظيفه للون في رسم صورته الشعرية الناطقة بالحركة .

وفي مقطوعة للشاعر يزاوج فيها بين ألفاظ الطبيعة الحية والجامدة ؛ لتغدو لوحةً فنيةً تكاد تنطق جمالًا بجمال طبيعة الأندلس وسحرها ، يقول متغزلًا : (من الطويل)

وَأَغْيَدَ مِنْ أَبْنَاءِ لَحْظَة **شَادِنٍ** يَنُوءُ كَمَا يَعْطُو بِخُوطَتِهِ **البَانُ**

ذُؤَابَتُـهُ مِهْـرَاقَةٌ خَلْفَ ظَهْرِهِ كَمَا الْتَفَّ **بِالغُصْنِ** المُنَعَّمِ **ثُعْبَانُ** (٤١)

إذ وظف الشاعر ألفاظ الطبيعة الحية ممثلةً بـ (شادن ، وثعبان) ، وألفاظ الطبيعة الجامدة ممثلةً بـ(البان، والغصن) عبر صورة تشبيهية لطيفة .

ويستمر الشاعر بربط الطبيعة بأفكاره في رسم الصور الشعرية ، فنجده يختار من الطيور العصافير في صورة تشبيهية بليغة في قوله : (من السريع)

أَتَى بِلَا رَحْبٍ وَلَا مِكْنَةٍ وَقْعَ **العَصَافِيرِ** عَلَى السُّنْبُلِ (٤٢)

ويختار من ألفاظ الطبيعة الحية أيضًا حيوانًا مفترسًا وهو السبع في قوله : (من الكامل)

أَبْقَاهُ وَالذُّعْرُ المُخِيفُ يُبِيدُهُ فَكَأَنَّهُ **سَبُـعٌ** عَلَى أَشْـلَائِهِ

مُسْتَأْصِلاً شَيْئًا فَشَيْئًا أَمْرَهُمْ كَـرَّ الزَّمَانِ بِصُبْحِهِ وَمَسَائِهِ (٤٣)

فقد شبه الممدوح في انقضاضه على أعدائه ، وما أشاعه فيهم من ذعر وهلع بالسبع الضاري التي لا تستطيع الفريسة الفكاك من مخالبه ، فالممدوح يمتلك من القوة والشجاعة ما يمتلكه هذا الحيوان المفترس ، بل إنه يتجاوز هذا كله بمبالغة كبيرة هي أنه يملك الزمان بصروفه وكرِّه (صبحه ومسائه).

***

وفي ضوء دراستنا لديوان الشاعر ، نقدم إحصائية بأهم ألفاظ الطبيعة الواردة في ديوان الشاعر ابن مجبر ، وكما مبين في أدناه :

أ / ألفاظ الطبيعة الصامتة :

١ – **معجم ألفاظ النبات** : الغصن ، الزهر ، الشجر ، روضة ، الرياض ، الجدب ، المرعى الخصيب ، السوسن ، القضب ، القضيب ، البان ، الكمام ، كمائم ، الشعير ،

السدر ، الهندي ، الغار ، الأغصان ، الثمر ، أزهار ، السنبل ، ورد الحسن ، روضة الخفر ، الحبة ، الخردلة .

٢ – **معجم ألفاظ التضاريس** : الأرض ، الفلاة ، البر ، النار ، نيران ، القيافي ، القفر، هضبة ، وادي ، البيداء ، سراب ، حصى ، حصاة ، ثبير ، طينة ، الترب ، ثرى ، صخر ، النار ، نار الجحيم ، الجزيرة ، العجاجة .

٣ – **معجم ألفاظ الأفلاك** : شمس ، شمس المدامة ، الليل ، ظلم الليالي ، الظلام ، الظلماء ، جنح الليل ، مظلم ، الفجر ، القمر ، الأقمار ، الهالات ، هالة ، البدر ، الصبح ، الصباح ، شفق الدجى ، قوس قزح ، شهاب ، الشهب ، السماء ، الفلك ، الأفلاك .

٤ – **معجم ألفاظ المياه** : البحر ، بحر الجمال ، الماء ، الماء النمير ، ماء بشرٍ ، موج ، أمواج ، العارض ، الثجاج ، السحب ، سحائب ، قَطْر ، الأنواء ، المناهل .

٥ – **معجم ألفاظ الظواهر الجوية** : الريح ، الرياح ، النسيم ، الهواء ، السحاب ، السحائب ، الرعد ، البرق ، بروق ، بارقة ، الجو .

٦ – **معجم ألفاظ الطبيعة الصناعية** : السفائن ، المقصورة (ذُكِرَ وصفُها) ، المحراب.

***

ب / ألفاظ الطبيعة الحية :

١ – **معجم ألفاظ الحيوانات** : الخيل ، الغزال ، السبع ، الضرغامة الضاري ، البعير ، الثعبان ، السخل ، الذيب .

٢ – **معجم ألفاظ الطيور**: العصافير ، اليعاسيب ، الغربان .

٣ – **معجم ألفاظ الخيل وصفاته** : الخيل ، يقق ، أبلق ، ورد ، أشقر ، أصفر ، أشهب ، طِرْف ، مهر ، الجواد ، خيله ، الجياد ، الفرس ، الجرد ، سراحيب .

٤ – **معجم ألفاظ الغزال** : الغزال ، رشأ ، ظبي ، ريم ، شادن ، خشف .

نتائج البحث:

تناولت في البحث ألفاظ الطبيعة في شعر ابن مجبر الأندلسيّ (بحتريّ الأندلس) ، وأهم النتائج التي توصلنا إليها في البحث ما يأتي :

١– لقد تغلغلت ألفاظ الطبيعة في نفوس الشعراء ، ولا سيما الشاعر (ابن مجبر) ، حتى باتت قريحته تشدو بها ، وصوره تنهل من معينها ، فتعددت ألفاظ الطبيعة التي استعملها الشاعر في ديوانه وتوسعت وكثرت كثرةً ، تدلّ على رقة الطبع ، وقوة الملاحظة لدى الشاعر في رصده وتصويره لهذه الألفاظ .

٢- جسّد الشاعر صورة صادقة لروح الشَّاعر الأندلسيّ ، وعمق مشاعره وأحاسيسه ، وطريقته الفنيّة في رسم الصورة الشعريّة في قصائده ، وهو يمزج بين شخصيات قصائده وملامح البيئة الأندلسيّة الجميلة .

٣- سجَّلت ألفاظ الطبيعة الصامتة مرتبة الريادة في ديوان الشاعر ، فاستنطقت إلهامه ومشاعره ، إذْ نجده أكثَرَ من استعمال هذه الألفاظ كثرة تزيد على استعماله لألفاظ الطبيعة الحية ، التي لم يخلُ منها ديوانه .

٤- أجاد الشاعر في توظيف ألفاظ الطبيعة بما يخدم الصورة الشعرية ، والغرض الشعري، والحالة النفسية المسيطرة عليه .

٥- إن من ينعم النظر في ألفاظ الطبيعة لدى الشاعر يجده قد ابتعد كثيرًا عن معانيها المعجمية أو القاموسية المعروفة ، وجعلها في سياق مجازي ، كما في توظيفه لألفاظ الشمس التي تمثل جمال المرأة تارة ، وسمو الممدوح وبهائه تارة أخرى ، ولمعان الخمرة تارة ثالثة ، وهكذا مع بقية الألفاظ كالقمر ، والماء ،والخيل ، والظبي ، وغيرها ، وقد أشرنا إلى دلالات كل منها في مكانها من البحث .

الهوامش والمصادر :

١- التكملة لكتاب الصلة ، ابن الأبار ، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت ٦٥٨ هـ) ، تحقيق : عبد السلام الهراس ، دار الفكر للطباعة – لبنان ، ١٩٩٤ م ، ج ٤ : ١٨٣ .

٢- المصدر نفسه : ج ٤ : ص ١٨٣ .

٣- أديب شاعر متقدم في طريقة الشعر برع فيها وفاق أهل زمانه ، من بلدة بليش بمالقة ، كان حاضر البديهة في الشعر ، كثير الارتجال ، توفي ليلة عيد الأضحى بمراكش في سنة ثمان وثمانين وخمسمائة . يُنظَرُ : بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس : أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة ، أبو جعفر الضبيّ (ت ٥٩٩ هـ)، تحقيق : إبراهيم الأبياريّ ، دار الكاتب العربي – القاهرة ، ١٩٦٧ م ، ترجمة ١٤٩٤ ، ص ٥٠٨ ، ويُنظَرُ : التكملة لكتاب الصلة : ج ٤ ص ١٨٣ ، ويُنظَرُ : السحر والشعر : لسان الدين بن الخطيب السَّلمانيّ (٧١٣ – ٧٧٦هـ)، تحقيق ودراسة ، د.محمد كمال شبانة ، وإبراهيم محمد حسن الجمل ، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير ، القاهرة ، د.ت ، ج ١ ص ١١٠ .

٤- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : أبو عليّ الحسن بن رشيق القيروانيّ الأزديّ (ت ٤٥٦هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، ط ٥ ، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١م : ج ١ : ص ١٢٨.

٥- المصدر نفسه : ج ١ : ١٢٤ .

٦- الشعر كيف نفهمه ونتذوقه : اليزابيث درو ، ترجمة : محمد ابراهيم الشوش ، مكتبة منيمنة ، بيروت ، ١٩٦١ م : ١٢٥ .

٧- مقدمة في النقد الأدبيّ : د.علي جواد الطاهر ، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٧٩ م : ٣٣ .

٨- يُنظَرُ : رماد الشعر دراسة في البنية الموضوعيّة والفنيّة للشعر الوجدانيّ الحديث في العراق ، د.عبد الكريم راضي جعفر ، دار الشؤون الثقافيّة العامة ، بغداد ، ١٩٩٨ م : ١٢٩ .

٩- لسان العرب المحيط : أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور (ت ٧١١ هـ)، قَدّمَ له : الشيخ عبد الله العلايليّ ، إعداد وتصنيف : يوسف خياط ونديم مرعشلي ، دار لسان العرب ، بيروت ، ١٩٥٥ م : مادة طبع .

١٠- الطبيعة والشاعر العربي ، د. حسين نصار ، القاهرة ، دار مصر للطباعة ، ١٩٧٢ م : ص٢.

١١- يُنظَرُ : شعر الطبيعة في الأدب العربيّ ، د. سيد نوفل ، القاهرة ، مطبعة مصر ، ١٩٤٥م : ص ١١ ، وفي الأدب الأندلسيّ : د.جودت الركابيّ ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٦، ٢٠٠٨ م : ص ١٢٥ .

١٢- يُنظَرُ : في الأدب الأندلسيّ : د. جودت الركابيّ : ص ١٢٦ .

١٣- في الأدب الأندلسيّ : د.محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر ، بيروت – لبنان ، دار الفكر ، دمشق – سورية ، ط ١ ، ٢٠٠٠ م : ص ١١٣ .

١٤ المعنى الشعري في التراث النقدي ، حسن طبل ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٩٨م: ص ١٩٥.

١٥ ديوان بحتريّ الأندلس (أبو بكر يحيى بن مجبر الموحديّ) : جمع ودراسة وشرح : د.يوسف عيد ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٢ م : ص ٦٥ ، طمى : ارتفع ، عَمَدَ السَّقْفَ : أَقَامَ عِمَادَهُ ، دَعَمَهُ ، والعمدة كناية عن القوة والشوكة ، العارض الثجاج : المطر الشديد الانصباب ، الأنواء : جمع نوء وهو : المَطَرُ الشديد .

١٦ ديوان بحتريّ الأندلس : ص ٧٧ .

١٧ الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس : د.محمد مجيد السعيد ، بيروت ، الدار العربية للموسوعات ، ط ٢ ، ١٩٨٥ م : ص ٢٠٤ .

١٨ ديوان بحتريّ الأندلس : ص ٨٩ .

١٩ ديوان بحتريّ الأندلس : ص ٦٧ .

٢٠ ديوان بحتريّ الأندلس : ص ٦٧ .

٢١ ديوان بحتريّ الأندلس : ص ٦٨ .

٢٢ ديوان بحتريّ الأندلس : ص ٨٠ .

٢٣ ديوان بحتريّ الأندلس : ص ٧١ .

٢٤ ديوان بحتريّ الأندلس : ص ٧١ .

٢٥ يُنظَرُ : الطبيعة في الشعر الجاهليّ ، د.نوري حمودي القيسيّ ، دار الإرشاد ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٧٠ م : ص ٦٤-٦٥ .

٢٦ ديوان بحتريّ الأندلس : ص ٧٨ ، خَفَرَتِ الْمَرْأَةُ : اِشْتَدَّ حَيَاؤُهَا ، رِواق اللَّيْلِ : مُقَدَّمُهُ وجانِبُهُ ، حَدَرَ اللثامَ عن فمه : أَزاله ،كِمَامَةُ الزَّهْرَةِ ،غِطَاؤُهَا ، غِلَافُهَا.

٢٧ يُنظَرُ : رماد الشعر : ص ٢١٠ .

٢٨ علم الجمال الشعري المفاهيم والاتجاهات : د.عصام شرتح ، دار الخليج للنشر والتوزيع ،٢٠١٧ م : ص٣١ .

٢٩ ديوان بحتريّ الأندلس : ص ٨٢ .

٣٠ البناء الفني في شعر ابن خفاجة الأندلسيّ ، إسماعيل عباس جاسم ، أطروحة دكتوراه ، الجامعة المستنصرية ، كلية الآداب ، ١٩٨٣ م : ص ١١٤ .

٣١ الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس : ص ١١٦ .

٣٢ ديوان بحتريّ الأندلس : ص ٧٨ ، وثبير: جبل معروف .

٣٣ ديوان بحتريّ الأندلس : ص ٨١ .

* هو يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي ، يكنى أبا يوسف، أمه أم ولد روميّة اسمها : ساحر. بُويِعَ له في حياة أبيه بأمره بذلك. وكانت سنه يوم صار إليه الأمر اثنتين وثلاثين سنة ؛ فكانت مدة ولايته منذ وفاة أبيه إلى أن تُوفّي في شهر صفر الكائن في سنة ٥٩٥، ست عشرة سنة وثمانيّة أشهر وأيّامًا ، وتُوفّي وله من العمر ثمانٍ وأربعون سنة، وقد وَخَطَهُ الشيب . المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين ، محيي الدين عبد الواحد بن علي التميميّ المراكشيّ (ت ٦٤٧هـ) ، تحقيق : د.صلاح الدين الهواري ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٦ م : ص ١٩٢ .

٣٤ – ديوان بحتريّ الأندلس : ص ٨٤ ، العِتاقُ من الخيلِ : النجائِبُ ، والعزف : صوت الجن ، صوت الدف ، صوت الرمال تحركها الريح ، صوت العود المتنوّع والمتكرر ، صوت المطر والغيث ، والقصف : اللَّهوُ واللعبُ والافتتانُ في الطعام والشراب ، والقصف : صوت البعير الشديد ، صوت الرعد الشديد المتكرر والمتقطع ، صوت الريح الشديدة ، صوت ناب الجمل ، يَقِق : شديد البياض ناصعه ، الطرس : صحيفة ، أو ورقة ، المُلاءة : المِلْحَفَة ، ثَوْبٌ مِنْ قِطْعَةٍ وَاحِدَةٍ ذُو شَقَّيْنِ مُتَضَامِنَيْنِ ، أبلق " فِي لَوْنِهِ سَوَادٌ وَبَيَاضٌ ، الإهاب : كَادَ الفَرَسُ يَخْرُجُ مِنْ إهَابِهِ : أيْ مِنْ نَشَاطِهِ فِي العَدْوِ ، الإهاب : جلد الحيوان قبل دبغه ، النصف : نَصَفَ النَّهارُ : انتصف ؛ بلغت الشّمسُ فيه وسط السماء ، الوَرْدُ من الخيل : ما بين الكُميت والأَشقر، أشقر : أُشْرِبَ بَيَاضهُ حُمْرَة ، أشهب : ما خَالَطَ بَيَاضَ شَعْرِهِ سَوَادٌ ، الأَدِيم : الجلد الذي يغلّف جسم الإنسان أو الحيوان ، طِرْفٌ : فَرَسٌ أَصِيلٌ أو الكَرِيمُ من الخيلِ ، العَجَاج : الغُبارُ ، الخشف : ولد الظبية أول ما يولد ، القصيدة تشبه إلى حدٍّ كبير قصيدة أبي بكر بن الملح في وصفه لحلبة خيل ، وأبو بكر هو محمد بن إسحاق اللخمي، من أهل شلب ويعرف بابن الملح، والملاح وهو من شعراء الدولة العبّاديّة وكان من المقربين للمعتضد وابنه المعتمد . يُنظَرُ : التكملة لكتاب الصلة : ج ١ : ص ٤١ ، ويُنظَرُ : أبو بكر بن الملح شعره : جمع ودراسة ، د. عبد المنعم عزيز النصر : ص ٢٨.

٣٥ – وصف الحيوان في الشعر الأندلسيّ عصر الطوائف والمرابطين : د.حازم عبد الله خضر ، دار الشؤون الثقافيّة العامة ، بغداد ،١٩٨٧ م : ص ٣٧ .

** أَبُو إِسْحَاق إِبْرَاهِيم بن همشك صهر ابن مردنيش وكان من مشاهير رجالات الأندلس ، وَكَانَ يضْرب بِهِ الْمثل فِي السطوة وَالْقَتْل وَكَانَ يردي أهل الْجِنَايَات من حافة عَظِيمَة ، وَقد حصلت الْآن فِي يَد النَّصَارَى بعد حِصَار عَظِيم سلمهَا لَهُم ابْن الْأَحْمَر ملك غرناطة الْآن . يُنظَرُ : المغرب في حلى المغرب ، أبو الحسن على بن موسى بن سعيد المغربيّ الأندلسيّ (ت ٦٨٥ هـ) ، المحقق : د. شوقي ضيف ، دار المعارف – القاهرة ، د.ت ، ج ٢ ، ص ٥٢ .

٣٦وصف الحيوان في الشعر الأندلسيّ عصر الطوائف والمرابطين : ص ٣٨ .

٣٧تحفة القادم : ابن الأبار ، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعيّ البلنسيّ (ت ٦٥٨ هـ) ، أعاد بناءه وعلّق عليه : الدكتور إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، د.ت ، ص ٩١ .

٣٨ديوان بحتريّ الأندلس : ص ٩٣ ، الخردل : نَبَاتٌ مِنْ فَصِيلَةِ الصَّلِيبِيَّاتِ لَهُ حَبٌّ صَغِيرٌ جِدّاً ، يَنْبُتُ مَعَ الزَّرْعِ فِي الحُقُولِ يُسْتَخْدَمُ فِي بَعْضِ الْمُسْتَحْضَرَاتِ الطِّبِّيَّة وبِحَبِّه يُضرب المثل في الصِّغر .

٣٩ديوان بحتريّ الأندلس : ص ٨٠ .

٤٠ديوان بحتريّ الأندلس : ص ٩١ ، الجُلَّنار : زَهْرُ الرُّمَّان ، السوسن : جِنسُ نباتات الأيْرِس من الفصيلة السوسنية ، تسمو إلى نحو ٦٠ سم ، تنتهي بزهرة أو عدة زهور جذَّابة تخرج كل ما من غُلف حرشفية ، يختلف لونها باختلاف النوع ، فمنه : الأبيض والأزرق والأصفر والأحمر وهي نباتات معمّرة تنبت في أوربة وبلاد البحر المتوسط ، وتعرف بعض أصنافها بجذور الطيب لأنها عطرية .

٤١ ديوان بحتريّ الأندلس : ص ٩٢ ، الأغيد من النبات : الناعم المتثني ، والغيداء : المرأة الرشيقة ، وغلام غيد : تَمَايَلَ فِي نُعُومَةٍ وَتَثَنَّى فِي لِينٍ كالغَيْداءِ ، والشادن : ولد الظبية إذا قوي واستغنى عن أمِّه ، ناء ينوء بحمله : أُثْقِلَ بِهِ فسقط ، عطا يعطو الغزال أو نحوه : رفع رأسه ليتناول الأوراق ، الخوط : الغصْن الناعم ، البان : شجر من الفصيلة البانيّة ، ينمو ويطول في استواء واعتدال وتُشبّه به الحسانُ في الطّول واللّين ، الذؤابة : الضفيرة ، وذؤابة الشجرة : غصنها المتهدل ، مهراقة : مصبوبة أو متدلية.

٤٢ديوان بحتريّ الأندلس : ص ٨٧ .

٤٣ديوان بحتريّ الأندلس : ص ٦٥ .